الذات والآخر عند نبى الرحمة محمد ε

الأستاذ الدكتور/ فـاروق أحمـد مصطفى
الأستاذ بقسم الأنثروبولوجيا ـ كلية الآداب
جامعة الإسكندرية

مقـدمـة:

تعرض نبى الرحمـة محمد ε فـي الفتـرة الأخيـرة إلـى هجـوم شـرس مـن أعداء الـدين الإسـلامي فـي الغـرب وصـوروه فـي أبشـع صـوره. وأنكـر ذلـك المؤمنـون والمنصفون من غيـر المسلمين. كمـا وقـف المسلمون فـي جميـع أرجاء الأرض إزاء هذا العدوان.

وبتحليل كتب السيرة والتى تعد من أفضل المصادر العلمية لأنها تتعلق بأفضل الأنبياء والرسل محمد ε ولأنها تحكي حياة النبى من مولده إلى وفاته والوقوف على مواقفه المختلفة مع مجتمعه، ومواقفه مع الآخرين الذين يختلفون عنه ورحمته معهم ثم رؤيتهم بأنفسهم لرحمة النبى معهم رغم اختلافهم معه في حياته.

ونحاول في هذا البحث أن نلقى الضوء على ذات نبى الرحمة محمد ε وأخلاقه ورؤيته لمجتمعه وللآخرين المغايرين له في الدين والعقيدة ورؤية هؤلاء "الآخر" له في حياته وأعتمد على الله وكتابه وسنة نبيه ε ومن خلال كتب السيرة وعلى منهج علمي يعد من المناهج العلمية الهامة في المجالات الثقافية المختلفة وهو يعرف بمنهج رؤى العالم حيث يتناول الأفكار التى تسود عن الأفراد داخل الجماعة ونظرتهم لذاتهم ونظرة الآخرين الذين هم خارج عنهم له كما نستخدم منهج التحليل العلمي من أجل توضيح الذات و"الآخر" عند نبى الرحمة محمد ε.

والبحث الحالي يندرج تحت المحور الأول من محاور المؤتمر وعنوانه معالم الرحمة في شخص النبى ε وسيرته وينقسم إلى الأقسام الرئيسية الآتية:

- التعريف بالمنهج المستخدم في الدراسة.
- مفهومات الدراسة الرئيسية القرآن والسنة والسير والأخلاق والذات والآخر.
- أهمية السير وتاريخ الحياة ونماذج من السيرة النبوية التى توضح ذات وأخلاق وأدب النبى محمد ε.
- ذات النبى ε ومعالم الرحمة في علاقته بمجتمعه.
- معالم الرحمة في "ذات" النبى محمد ε ورؤيته وعلاقاته "بالآخر" المختلف معه ونظرة "الآخر" لذات نبى الرحمة محمد ε في حياته.
- أهم نتائج الدراسة.
- أهم المراجع المستخدمة في الدراسة.

(1)

المنهج المستخدم في هذا البحث هو منهج "رؤى العالم" وهو من أحدث المناهج الاجتماعية التى تهتم بالوقوف على "الذات" و"الآخر" وهو من المناهج الهامة في المجالات الثقافية المختلفة، ويعد منهج رؤى العالم الذي يعتمد على إحدى المفهومات في مجال الدراسة الخاصة بعلم الإنسان "الأنثروبولوجيا" وفي فرع هام منها هو علم الإنسان الثقافي حيث يستخدم في التمييز بين الثقافات المختلفة ومقارنتها بالثقافات الأخرى ويتناول هذا المنهج الأفكار التى تسود عند الأفراد داخل الجماعة ونظرة هذه الجماعة للعالم ونظرتها لذاتها ونظرتها للآخر الذي هو خارج عنها.

ويحاول المنهج أن يصف هذه الأفكار من وجهة نظر الأفراد المنضمين الى جماعة معينة من داخل الثقافة أكثر من خارجها وهى كما أوضحت تركز على التراث وعلاقتها بالعالم. وقد يهتم هذا المنهج اهتماماً بسيطاً بالنظريات الخاصة بعلم الإنسان، إلا أنه يهتم اهتماماً خاصاً بالجوانب المعرفية والإدراكية لهذه الأفكار والمعتقدات والاتجاهات جل اهتمامه كما وأن النظرة للعالم لا تكون منفصلة عن الجوانب الذاتية والمعيارية للجماعة.

ومن هنا يحدث خلط بين هذه المفهومات مثل الأخلاق والقيم وأنماط التفكير، والشخصية القومية، وحتى الثقافة نفسها.

وقد ظهر منهج رؤى العالم في سنة 1941م وفي البداية كان الاهتمام منصباً على دراسة التطور الثقافي، والتغير الاجتماعي الثقافي الذي تحدثه الثقافة التى تؤمن بها الجماعة ومن الانتقال من حالة اجتماعية وثقافية إلى حالة أخرى، ثم اهتمام المنهج بعد ذلك بالتقاليد الكبرى والتقاليد الصغرى في المجتمعات الإنسانية والتى تساعد في أحداث تطور متوازن (1) ثم تناول العلماء بعد ذلك العوامل التى ترتبط بهذا المصطلح مثل:

1. **الحديث عن تحديد الذات والحديث عن تحديد الآخر.**
2. **الطبيعة الإنسانية.**
3. **الطبقات والمستويات الإنسانية واشتراك الأفراد في الجماعات بينما يكون الآخرون مختلفين وخارجين عليها.**
4. **الوجود الذي نطلق عليه تسمية الطبيعة وهذا الوجود يكون لله الواحد الأحد في كل مناحي الحياة الدنيوية والآخرة.**

5. أن كل نظرة إلى العالم لابد أن تتضمن توجيهاً من الذات في وقت معين وفي مسافة معينة عن طريق دراسة الظواهر الطبيعية التى أنعمها الله علينا.

6. كما تناول المنهج الذات وموقفها من الكوارث التى تصيب الإنسان نفسه ورؤيته ورؤية الآخر لها (2).

وقد تابع ذلك قيام المتخصصين من العلماء في هذا المنهج بتوضيح بعض المستويات العلمية لرؤى العالم جاء فيها ضرورة الاهتمام بمستوى أنساق الأفعال والتى يمكن ملاحظتها من خلال السلوك والتى تتضمن الشعائر الدينية (3).

كما ركز بعضهم على أن رؤى العالم ومنهجه يعتمد على المعرفة والإدراك المرتبطة بالأخلاق والقيم وهذه الأشياء ضرورية للدين الذي يحض على مجموعة من القيم الاجتماعية التى بواسطتها يتم تصويب وتصحيح الحياة اليومية للإنسان والتى تظهر الموضوعية وهذا يؤدي إلى أن نفهم أنساق الرموز الموجودة في الدين فضلاً عن معرفة الجوانب الأخلاقية الهامة التى يتضمنها (4).

وفي بحوث المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بمصر في مجال رؤى العالم التى حددت وقامت على الفهم وليس على مجرد الرصد والوصف فهى تخوض وراء الظواهر الاجتماعية والأنشطة الثقافية التى يمكن مشاهدتها بغرض الكشف عن أنماط التفكير والمبادئ العقلية التى تكمن وراء هذه الظواهر والأنشطة وهى تعد من أصعب الدراسات الخاصة بعلم الإنسان (الأنثروبولوجيا) لأنها تحتاج إلى إعداد خاص وتستخدم مناهج وأساليب وطرق وأدوات بحثية خاصة تتلاءم وطبيعية الموضوع كما تستعين في تحليل المادة الأثنوجرافية (5) التى تجمع من خلال الدراسة الميدانية ببعض النظريات المعنية وترتاد مجالات محددة اهتمت بها البحوث الأنثروبولوجية من قبل (6).

ويمكن الاستفادة من عناصر رؤى العالم التى تشمل :

1. الذات وهى تعتبر محوراً في رؤى العالم.
2. وغير الذات التى تسجل كل سائر البشر أو الآخرين من الناس.
3. الاهتمام بدراسة الدين ووحدانية الله.
4. دراسة الزمان والمكان.

وقد يتضح مما سبق أن رؤى العالم يعني كل النظرة الداخلية لأى جماعة ثقافية وأن هذه الدراسات كلية تهدف إلى الإحاطة بكل أبعاد العالم ولكن من جهة نظر الشخص أو الذات وليس من وجهة نظر الباحث كما أن معظم دراسات رؤى العالم تدور حول شخص واحد أو حول عدد محدود من الأشخاص الذين ينتمون إلى الجماعة التى يقوم بدراستها كما وأن الدراسات الخاصة برؤية العالم تهتم في المقام الأول بجمع المعلومات المتعلقة بأنماط التفكير وحضور الشخص أو الأشخاص أو الذوات يتم التركيز عليها لمعرفة الأحداث التى تدور حوله كما تهتم أيضاً بنظرته إلى الآخر وأن المعلومات التى يتم جمعها من الشخص أو من مجموعة الأشخاص القليلة العدد تعبر تعبيراً وافياً عن نظرة الجماعة كلها.

ولعل أهم ما ينبغي أن تهتم به دراسات رؤى العالم من موضوعات ومبادئ..هى:

- أنماط للتفكير والقواعد والمبادئ الزمنية التى يصدر عنها الشخص.

- الاهتمام بالمبادئ المجردة التى تحكم السلوك وأنساق القيم التى توجه الشخص في علاقاته واختياراته.

- نظرة الشخص إلى الذات والى الناس أو الآخرين وتقويمه لهم.

- النظرة المستقبلية لدى الشخص على اعتبار أن المستقبل هو امتداد للماضي وسرد الحاضر وأنه الواقع الذي لم يتحقق بعد (7).

أما عن تصور "الذات" في السيرة النبوية فهى تشير إلى كل ما غاب عن الإنسان وكل ما هو في علم الله وكل ما يؤلف عالم الغيب الذي لا يخضع للحواس ويشمل الروح الأمين (جبريل عليه السلام) والملائكة والعالم الآخر ورؤية الرسول ε لذاته وللأنبياء السابقين ولأهل الديانات السماوية ورؤيته للمشركين الآخرين.

وإن أهمية تصوير رؤية العالم في هذا البحث تتمثل في أنه يجعل "الذات" النبوية الشريفة محوراً أساسياً في عملية بناء أو تبني التصورات الأخرى المتعلقة بالمكان والزمان فضلاً عن رؤيته لأصحابه وللملوك الذين عاشوا في عهده ورؤيته ε لمستقبل الدين الإسلامي الذي سينتشر ويعم ربوع الكرة الأرضية من أدناها إلى أقصاها ومن شرقها إلى غربها.

(2)

من المفهومات الأساسية في هذا البحث القرآن الكريم، وهو كتاب الله تعالى غنى عن التعريف ولكن الأصوليين تعرضوا لتعريفه بتعريفات مختلفة لبيان ما تجوز به الصلاة وما لا يجوز وما يكون حجة ومصدراً لاستنتاج الأحكام وما لا يكون وما يكفر جاحده وما لا يكفر. وأبرز هذه التعريفات أن القرآن هو كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد ε باللفظ العربي المنقول بالتواتر المتحدي به، المتعبد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس ويمكن من التعريف السابق تحديد أهم خصائص القرآن.

أولاً: أن ألفاظ القرآن ومعانيه كلاهما منزل من عند الله تعالى.

ثانياً: أن القرآن نزل باللغة العربية قال تعالى "إنا أنزلناه قرآناً عربياً"

ثالثاً: أن القرآن نقل إلينا بطريق التواتر كتابة في المصاحف وحفظاً في الصدور.

رابعاً: من خصائص القرآن الكريم أنه معجز للبشر وإعجازه يظهر في تحدي العرب به وعجزهم الكامل عن الإتيان بأقصر سورة منه وأن قارئ القرآن لا يمله وسامعه لا يمجه، وبلاغته ارتفعت إلى درجة لم تعرف في كلام العرب قط وأخباره بأحوال الأمم السابقة كما أن القرآن قد أخبر عن أمور مستقبلة مثل "آلم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون" كما أن القرآن اشتمل على حقائق إنسانية وعلوم كونية فالقرآن المصدر الأول للتشريع الإسلامي تبيان لكل شئ حيث أنه أحاط بجميع الأصول والقواعد والتى لابد منها في كل قانون وأى نظام (8).

والمفهوم الثاني هو السنة التى تعرف لغة: بالعادة: والطريقة محمودة كانت أو مذمومة فمن قوله تعالى "قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبه المكذبين) (9) أى طرق وعادات ومنه قوله ε "من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة) (10).

والسنة اصطلاحاً ما صدر عن النبى ε من قول أو فعل أو تقرير، وقد يراد بالسنة ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه أو ما قابل الفرض والواجب وقيل ما واظب على فعله النبى ε مع الترك أحياناً بلا عذر والمقصود هو ما صدر عن النبى ε من قول أو فعل أو تقرير مثال قوله ε "من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله (11) وقوله ε "لا ضرر ولا ضرار"

(12). ومثال لفعله صلاته وحجه ε ومثال تقريره ما أقر ε مما صدر عن بعض الصحابة من أقوال وأفعال فسكوته وعدم إنكاره أو موافقته واستحسانه يعد كالفعل أو القول صادر عن النبى ε مثال ذلك حديث معاذ حينما بعثه النبى ε إلى اليمن (13).

أما حجية السنة كونها دليلاً يجب العمل به فقد أجمع الأئمة على أن السنة إذا لم تكن من خصوصياته ε ونقلت عن النبي بسند صحيح حجة على المسلمين ومصدر تشريعي:

أ- أدلة الحجية من القرآن الكريم قال تعالى "وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم" (14).

ب- الأدلة من السنة قوله ε "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتى"(15).

ج- الأدلة من الإجماع: إجماع الصحابة على وجوب اتباع سنة النبى ε لا يفرقون بين حكم صدر عن القرآن وحكم صدر عن النبى ε متى كان صحيحاً.

د- والأدلة من المعقول: إن القرآن الكريم شرع أحكاماً عامة وفرض فرائض مجملة، ولم يبين القرآن تفاصيل هذه الفرائض والواجبات فجاءت السنة وبينت الإجمال، قال تعالى "وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة" (16).

وتنقسم السنة بحسب روايتها الى ثلاثة أنواع:

السنة المتواترة: والتواتر لغة التتابع في الاصطلاح: هى السنة التى رواها عن النبى ε جمع كثير لا يحصى عددهم لكثرتهم وهى حجة كاملة والاحتجاج بها كالاحتجاج بالقرآن لأنها قطعية الثبوت عن النبى ε.

السنة المشهورة: وهى التى رواها عن نبى الله ε واحد أو اثنان أو ثلاثة أو أكثر لم يبلغوا حد جمع التواتر ثم رواها بعد ذلك جمع كثير يتحقق فيهم جمع التواتر ورواها جمع مثله مثل حديث النبى ε "بنى الإسلام على خمس" (17) ونظراً لأن الصحابة مشهود لهم بالعدالة لأنهم تلقوا عن النبى ε فهم حجة وثقات في النقل.

السنة الآحاد: وهى ما رواها عن النبى ε رواة لم يبلغوا جموع التواتر بأن رواها عن النبى ε واحد أو اثنان أو جمع لم يبلغوا حد التواتر ورواها عن هذا الراوي مثله حتى وصلت إلينا بسند طبقاته آحاد لا جموع التواتر

وتسمى سنة الآحاد أو خبر الواحد وهى ظنية الثبوت عن النبى ε ولذا لا يؤخذ بها في أمور العقيدة.

إذن لكل سنة من السنن المتواترة والمشهورة والآحاد حجة يجب اتباعها والعمل بها.

أما المفهوم الثالث فهو السيرة وهى الترجمة المأثورة لحياة النبى محمد ε وقد ظهرت أول ما ظهرت في كتاب مؤلف ابن هشام "هذا كتاب سيرة نبى الله" وهناك شاهد آخر على استعمال السيرة بمعنى الترجمة لحياة النبى ε فقد وردت بهذا المعنى في الوقدي "ابن سعد الطبقات حـ2 قسم 21 ص 18 : من روى السيرة).

وقد استعمل المصطلح للدلالة على ترجمة الحياة بصفة عامة ومعنى السيرة متسلسل من "المسلك" أو طريقة الحياة اللذين تدل عليهما هذه الكلمة والتى ترجع إلى سير أى "سلك" أو ذهب في الأرض وقد وردت كلمة سيرة في القرآن الكريم سورة طه الآية 21 "وقال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى" والسيرة بمعنى الهيئة ويبدو أن صيغة الجمع "سير" هى التى كانت مفضلة عند الكلام على ترجمة حياة النبى (18).

وقد استخدم علماء الإنسان (الأنثروبولوجيا) الوثائق الشخصية في الحصول على بيانات علمية فكان لهم الفضل الكبير في إثراء تلك الدراسات بالحقائق العلمية وتكشف الوثائق في مجال الخبرات الداخلية للأشخاص للباحث عن الحياة كما كان يعيشها الشخص دون تدخل من جانب الباحث نفسه وقد تشمل السير تاريخ الحياة الذي يتضمن هذا السجل التاريخي للفرد منذ نشأته وتدون فيه استمارات الفرد المختلفة للمؤثرات التى مرت به منذ بداية حياته والتى لها أثر في تكوين قيمه واتجاهه والحياة والخبرات التى اكتسبها كما أنها توضح المحيط الثقافي الذي عاشت فيه الشخصية كما أن السير تكشف الخبرات الداخلية للأشخاص وتعطي مكونات تتعلق بالحياة التى عاش فيها الشخص الذي تقوم بدراسته حيث تكشف عن السلوك الاجتماعي ومدى تأثره بعوامل البيئة المحيطة وطرق استجابته للمؤثرات والمواقف المختلفة.

ويرى دوبرا ريد دانهاى في قاموس سيج لمناهج البحث العلمي أن سير الحياة تربط دائماً بين الأماكن والذات محل الدراسة في محيط اجتماعي وتتضمن طرائق البحث والكتابة الخاصة بالشخصية الذاتية بمعنى أن هناك شعور مزدوج وثنائية يمكن أن يرجع ليها الباحث الأثنوجرافي للجماعة وانعكاس السيرة الذاتية على هذه الجماعة.

وتعد السير مرجعاً هاماً للشخصية محل الدراسة كما أنها منهج يربط الملامح الخاصة بتاريخ الحياة والثقافة ولكى نفهم السير كمنهج للبحث يتطلب الأمر معرفة الاتجاهات الدقيقة لكى نفهم ونفسر الحياة الاجتماعية والثقافية (20).

وتعد كتب السيرة النبوية من أفضل الكتب لأنها تتعلق بأفضل الرسل محمد ε فهى تحكي لنا حياة النبى ε من مولده إلى وفاته مع الأحداث المرتبطة بالدعوة فضلاً عن ذكر صفاته ε وأحواله وعاداته وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى باتباع النبى ε والتأسي به قال الله تعالى: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً" (21).

ولا تمتلك الإنسانية اليوم سيرة كاملة وشاملة بهذا المعنى سلطت عليها الأضواء من كل مكان فكانت مثالية مثل سيرة النبى ε لذلك جاءت تراثاً للإنسانية كلها يرجع إليها المسلم تديناً وحباً ويقرؤها غير المسلم ممن حكموا عقولهم ليرى بنفسه حياة النبى ε إن أصدق مصدر للسيرة النبوية هو القرآن الكريم الذي شغل النبى ε طوال حياته تلقياً وتبليغاً وتنفيذاً حيث اشتمل على جوانب السيرة في الفترة من بعثه إلى أن لحق بالرفيق الأعلى.

ومنذ أن نزل عليه الوحى بالغار بقوله "أقرأ" وناداه بالمزمل والمدثر وأن ينذر عشيرته الأقربين مُعرضاً عن المشركين مواجهاً كل ما وضع في طريقه من عقبات متنقلاً بالدعوة من مكان إلى آخر حتى استقر به المقام في المدينة المنورة مواصلاً نشاطه فى التلقي والتبليغ والتطبيق باعثاً بالرسائل إلى ذوى الشأن في الجزيرة ومن حولها صامداً أمام هجمات الأعداء في السرايا والغزوات ومربياً أصحابه تربية عملية ليواصلوا الدعوة من بعد أن نزل عليه في حجة الوداع قوله سبحانه "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً" (22).

وإذا كان القرآن قد سجل السيرة النبوية بصدق في فترة الرسالة فقد سجل طرفا منها فيما هو قبل الرسالة بما يثبت قلبه ويشجعه على الاستمرار في دعوته صابراً محتسباً وبما يؤكد صدقه لأن القرآن كلام الله وليس كلام البشر (23).

ثم يجئ المصدر الثاني بعد القرآن الكريم لتسجيل السيرة النبوية وهو السنة بما فيها من أقوال وأفعال وصفات تسجل كل نشاطه ε في جميع ميادين الإصلاح الفردي والجماعي فكرياً وخلقياً وسياسياً واجتماعياً، ودينياً ودنيوياً وقد نهى النبى ε عن كتابتها في حياته حتى لا تختلط السنة بالقرآن

الكريم فقال كما رواه مسلم "لا تكتبوا عني ومن يكتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج ومن كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" ولكن بعد وفاته ε لم تكن هناك مصادر للسيرة غير القرآن وما وعاه الصحابة من أحاديث حتى جاء عمر بن عبدالعزيز فكتب إلى ابن بكر بن حزم الذي تولى القضاء على المدينة المنورة يقول انظر ما كان من حديث نبى الله ε فاكتبه فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ولا تقبل حديث غير حديث النبى ε ولتفتشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً وأمر أيضاً محمد بن مسلم بن شهاب الزهري بتدوين الحديث فدون له في ذلك كتاباً.

وتتابعت حركة التدوين للسنة وما يتصل بالنبى ε من أخبار مهما كانت مصادرها غير مقتصرة على فترة الرسالة بل تناولت حياته من يوم ولادته بل من قبل ولادته ثم تم تصنيف ما جُمع من مأثور في باب معين ومنه المغازي والسير التى كانت تضم مع ذلك جوانب من حياته لا تتصل بها من طريق مباشر.

وكان أول من كتب في السيرة عروة بن الزبير بن العوام ثم جاء كُتاب اشتهرت كتاباتهم، منهم محمد بن إسحاق ومن بعده ابن هشام الذي روى سيرة ابن إسحاق عن محمد بن زياد (24) ثم محمد بن سعد تلميذ الواقدي وصاحب الطبقات المعروف باسمه ثم جاء من بعدهم من ألف في جوانب من حياته ε فمنهم من ألف في دلائل النبوة، كما فعل أبو نعيم والبيهقي ومنهم من ألف في شمائله مثل الترمذي ومنهم من ترجم لأصحابه مثل ابن الأثير وابن حجر وغيرهم.

وظلت العناية بهذه السيرة عبر الزمن وعلى مرّ القرون إلى أن انتهى الأمر إلى أحد أئمة الحديث وهو محمد بن يوسف الصالح فألف الموسوعة التى ضمها أطراف السيرة في كل جوانبها واعتمد في الرجوع الى أكثر من ثلثمائة كتاب وكما يقول "تحريت فيه الصواب، وذكرت فيه قطرات من بحار وفضائل نبى الله ε من مبدأ خلقه قبل خلق سيدنا آدم وكل شئ عن نبى الله ε حتى أن نقله الله تعالى إلى أعلى جناته" (25).

وقد يتبادر إلى الذهن ما هى أهمية دراسة السيرة النبوية العطرة ويمكن إيجاز أهم النقاط في الإجابة على هذا التساؤل في:

1. أن التعرف على الجهد الذي بذله النبى ε في سبيل توصيل الرسالة إلى الناس يجعلنا أكثر تقديراً لحقه علينا فيكون حبنا له عن علم ودراية لا مجرد عاطفة.

2. أن الله تعالى جعل نبيه ε أسوة حسنة وألزم على كل مسلم أن يسير على هديه.

3. سجل القرآن الكريم من حوادث السيرة كما أشارت بعض الآيات فكانت السيرة تفسيراً لجزء كبير من آيات القرآن الكريم.

4. والسيرة هى تاريخ عهد النبوة والرسالة وقد نجد في السيرة العلاج لأمراض المجتمعات فهى دائماً تناسب كل عصر.

5. من خلال السيرة تتعرف على جيل الصحابة الذي تربى على يدى النبى ε (26).

والمفهوم الرابع الذي نعده من المفهومات الضرورية هو مفهوم الأخلاق.

يهتم الإنسان بما أودع فيه من العقل بمعرفة الحقيقة و بما أودع فيه من الشعور يهتم بممارسة الخير فإذا كان للعلم أهمية في رقي الإنسان المادي فإن الأخلاق اكثر أهمية لأنها تتصل بالجوانب الروحية عند الإنسان . ولا ينتظر من كل إنسان أن يكون عالماً أو أن يلم بنظريات العلم ولكن ينتظر منه أن يدرك معني الواجب وأن يهدف في أعماله وتصرفاته إلى تحقيق المبادئ الخلقية.

لذلك فإن مسائل الأخلاق من المسائل التي يجب ان يهتم بها كل إنسان . فكل أمرئ محتاج لأن يبني تصرفاته ويبررها بالرجوع إلى مبدأ أخلاقي . كما يتعين علي كل إنسان أن يتخذ له مبدأ خلقياً يسير عليه ويقيس به تصرفاته وأفعاله ويحكم به علي تصرفات الآخرين وأفعالهم ولكن هل يستطيع الإنسان أن يعيش في مجتمع معين أن ينفرد لنفسه بمذهب أخلاقي لا يعكس المبادئ الأخلاقية والعادات السائدة في مجتمعه؟ هذا السؤال وغيره يثيره علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا ويرون أن الضمير الأخلاقي عند الإنسان يتقيد بما يسود في المجتمع من معتقدات وعادات وتقاليد ومن ثم فإن الإنسان يحكم علي الأفعال والتصرفات ليس من خلال ضميره وإنما من خلال ضمير المجتمع(27).

الأخلاق علم معياري يحدد معايير السلوك بين الناس في الجماعات الاجتماعية المختلفة، ومعظمها يدور حول الخير الأسمى ، والحق ، الواجب ، والصواب والخطأ(28).

ويجدر الإشارة إلى أن الأخلاقيات تختلف عن الخلق العام morality نقول أن الأخلاقيات تنضوي تحت لواء نظرية القيمة وهي معرفية خالصة وهي مادة وموضوع وهي ميدان دراسة وكما أوضحت فالأخلاقيات في حقيقة الأمر معيار السلوك الذي لا يصف سلوكنا الفعلي نظراً لأن الناس غالباً ما ينتهكون المعايير المتفق عليها فالصدق معيار للسلوك عن طريق الدفاع عن الأخلاق بين الناس وعن طريق تعليم أطفالنا أن يكونوا صادقين وعن طريق الإعلان برفضنا الكذب.

ويمكن القول أنه ليس كل معايير السلوك يطلق عليها كلمة "أخلاقيات " وعليه أن نميز بين الأخلاقيات والعادات والأعراف الاجتماعية الأخرى مثل القانون، والسياسة، والدين إضافة إلى أن هناك أسباب كثيرة تنفي أن تكون الأخلاقيات قانوناً فهناك بعض الأفعال غير قانونية لكن ربما تكون منتمية إلى الأخلاقيات فالسرعة علي سبيل المثال ليست قانونية لكن ربما نجد أحد الأشخاص الذي يري أن لديه التزاماً أخلاقياً بكسر السرعة المحددة وذلك لنقل شخص ما إلى المستشفي لإسعافه (29).

إن واقع الدين في المجتمعات الإنسانية يؤكد ويرشد إلى معايير السلوك كما انه ينطوي علي أخلاقيات لا يمكن إنكارها . كما وإن رجال الدين يسعون إلى الدفاع عن الأخلاق العامة ويجب أن تكون الأفعال العامة متمشية في ضوء مرضاة الله سبحانه وتعالي.

إن فكرة الإلزام التي جاءت بالقرآن الكريم لا يخلو منها أى مذهب أخلاقي لأن الإلزام هو العنصر الأساسي والمحور الذي تدور حوله المشكلة الأخلاقية وزوال فكرة الإلزام يقضي علي جوهر الحكمة العقلية والعلمية التي تهدف الأخلاق إلى تحقيقها وإنعدام الإلزام انعدام للمسئولية التي إذ إنعدمت ضاع كل أمل في وضع الحق في نصابه وإقامة أسس العدالة وحينئذ تعم الفوضي (30).

والنفس الإنسانية كما تدل علي ذلك بعض آيات القرآن عرفت معني الخير والشر.

(ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) كما أن الإنسان في القرآن الكريم ألهمه الله تعالي الحس الخلقي فعرف طريق الفضيلة والرذيلة (وهديناه النجدين).

وقال رسول الله ε "إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً من نفسه يأمره وينهاه"

وقد ميزنا الله بفضل العقل الذي نستعين به علي الإلزام حين قال في كتابه العزيز (لقد كرمنا بني آدم وفضلناهم علي كثير ممن خلقنا تفضيلاً) وأن الأصل الطيب لا يفسد الإنسان إلا عدم استخدامه لقواه (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) وعندما لا يستخدم هذه القوي التي أودعها الله في قلبه بقوله (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام).

والقرآن الكريم كلام الله عز وجل تعبير عن الإرادة الإلهية فهو المصدر الأساسي للتعاليم والأحكام الدينية والأخلاقية وتذكر لنا آيات القرآن هذه الحقيقة" " إن الحكم إلا لله" وحكم الله لا سبيل إلى التشكيك فيه

وأن النبي ε أول من يخضع للقانون الآلهي (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وإنا أول المسلمين).

كما وان القرآن نفسه يحث المؤمنين علي الأخذ بما يعمل به الرسول ε و"من يطع الرسول فقط أطاع الله". "وما أتاكم الرسول فخذوه . وما نهاكم عنه فانتهوا" وإن الإلزام الذي يأتي عن الرسول ε لا يكون إلزاماً حقيقياً ونهائياً إلا إذا كان مصدره الوحي.

أما الأفعال الأخرى التي تنفي عنها صفة الوحي الإلهي فإن سلطاتها ليست ملزمة إلزاماً كلياً وهذا التميز واضح في القرآن (يا آيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) كما أوضح ε ذلك بصفة قاطعة حين قال "إذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوه، فإني لن أكذب علي الله" كما يقول " أنتم أعلم بأمر دنياكم" وكما كان يؤكد ε "إنما إن بشر أنسي كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني".

وإن خلاصة القول إن أحاديث الرسول ε الصحيحة الموثوق بها تعد ملزمة كإلزام القرآن لأنها ليست إلا تعبير عن الإرادة الإلهية (ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي).

إن الأخلاق في جوهرها هي العمل وفق مبادئ ثابتة والفعل الأخلاقي هو اليوم ما سيكون عليه في الغد بغض النظر عما تكون عليه الأمزجة الشخصية من اختلافات يتعرض إليه المزاج الشخصي الواحد من تقلبات (31).

ونأتي إلى المفهوم الأخير والخامس وهو الذات والآخر The self and All else وإذا رجعنا إلى هذين المفهومين في المعاجم الخاصة باللغة العربية مثل لسان العرب لابن منظور، والمعجم العربي الذي أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة وإلى معجم الرازي: مختار الصحاح نجدها تتفق في معنى الذات أو النفس والآخر.

فمفهوم الذات يعني النفس، والذات مثناه ذاتاً والجمع ذوات وهى مؤنث لذو. ويتلخص مفهوم الذات في أنها ذات الشئ نفسه ويقال عاد ذات الرجل، وأيضاً تحمل في طياتها الاعتماد على الذات بمعنى الاعتماد على النفس أو الشعور بالقدرة الذاتية، أما حب الذات الذي يعمي البصر والبصيرة وهى نوع من الأنانية (32).

وأما الإمام الرازي فيري في تعريف النفس بأنها الذات، نفس الروح يقال خرجت نفسه، ويقال سألت نفسه ونفس الجسد، ويقولون ثلاثة أنفس فيذكرونه لأنهم يريدون الإنسان، ونفس الشئ عينه ويؤكد به يقال "رأيت فلانا نفسه" وجاء بنفسه (33).

أما "الآخر" نجد في أسماء الله تعالى: الآخر، والمؤخر وهو الباقي بعد فناء خلقه كله ناطقة وصامته والمؤخر هو الذي يؤخر الأشياء فيضعها في موضعها وهو ضد المقدم وفي حديث عمر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له "آخر عني يا عم، يقال أخرّ وتأخر وقدم وتقدم بمعنى قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله أى لا تتقدموا وقيل معناه أخر عني رأيك فاختصر إيجازاً وبلاغه.. والآخر بمعنى غير كقولك رجل آخر وثوب أخر (34).

وجاء هذا المعنى في القرآن الكريم في سورة يوسف "ياصاحبي السجن أما أحدكم فيسقي ربه خمراً وأما الآخر فيصلب وتأكل الطير من رأسه قضى الأمر الذي فيه تستفتيان (35).

أما المعجم العربي فقد جاء به لفظ أخرّ يؤخر تأخير الشئ يبطأه عن وقته عكسه قدّم مثل (أخر الإجتماع)؛ "إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر" قرآن

كريم، وأخر الرجل عمله؛ عوقة؛ الآخر جعله تالياً أو بعد موضعه (علمت نفس ما قدمت وأخرت) وأن يقدم رجلاً ويؤخر أخرى؛ يعني التردد) (36)

أما المعاجم الأخرى باللغة الإنجليزية كقاموس Webster & Longman Dictionary فقد شرحا الذات Self بمعنى بعض الصفات الخاصة بأنماط الشخصية والجوانب الخاصة داخل الفرد، وليس ما يحاول أن يظهره أو يبينه، والأفكار المتعلقة بأى شخص على أنه شخص متباين ومختلف عن أكثر الناس، وقد تكون الذات تحقيقاً وتجسيداً للصفات المجردة (37).

أما مصطلح All els فقد تناولاها بمعنى الآخر وهو مختلف في الشخصية تماماً وقد تستخدم أيضاً بمعنى شئ ما أو الآخر المتميز والمتباين أو من له اتجاه آخر (38).

أما في مجال الدراسات العلمية فإن Self & All else فإنها تنظر إلى الشخص أو الذات على أساس أنها نقطة انطلاقه في الدراسة وأنه يتعين على الباحث أن يتعرف نظرة ذلك الشخص أو الذات الى ذاته والى العالم الذي يحيط به سواء في ذلك البيئة الفيزيقية أو أعضاء المجتمع ونظمه وأنساقه وقيمه أو العالم الخفي والكشف عن المبادئ العقلية وأنساق الأفكار التى تكمن وراء هذه النظرة في تكوينها وتوجيهيها (39).

وباختصار فإن البحث يهتم بدراسة إدراك الذات لذاتها إدراك سيد الخلق نبى الرحمة لذاته وللآخرين وتحديد أوجه التشابه أو الاختلاف بينه وبينهم ومدى القرب أو البعد بينهم من ناحية وبينهم وبين الذات من ناحية أخرى وأسباب ذلك من وجهة نظر (ذات النبى).

(3)

في هذا الجزء من البحث نحاول أن نلقي الضوء علي السيرة النبوية للرسول ε وموقفه من التعامل مع غير المسلمين في أثناء السلم ونشير إلى بعض النماذج من السير الذي اعتمد عليه البحث وهي:

1- صفوة السيرة النبوية لابن كثير.

2- مختصر سيرة بن هشام.

3- سبل الهدي والرشاد في سيرة خير العباد للإمام محمد بن يوسف الصالحي.

4- من معين السيرة تأليف صالح احمد الشامي.

5- الفصول في سيرة الرسول للإمام ابن كثير.

وقبل أن نتناول موقف الرسول ε من التعامل مع غير المسلمين نري أنه من الضروري أن نلقي الضوء علي شخصية النبي ε مستخدمين في ذلك التحليل العلمي في ضوء التحليل المنهجي ورؤى العالم.

ونبدأ بتعريف الرسول ε في حديثه عن نفسه:

"قال ابن إسحاق: وحدثني ثور بن يزيد عن بعض أفضل العلماء، ولا أحسبه إلا عن خالد بن معدان الكلاعي: أن نفراً من أصحاب رسول الله ε قالوا له يا رسول الله أخبرنا عن نفسك، قال: نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى "أخي" عيسى ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينما أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نري بَهُما لنا، إذ أتا بي رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوء ثلجاً، ثم أخذاني فشقا بطني واستخرجا قلبي فشقاه، فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه، ثم قال أحدهما لصحابه زنة بعشرة من أمته فوزنني بهم فوزنتهم، ثم قال زنه بمائة من أمته، فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال: زنه بألف من أمته فوزنني بهم فوزنتهم، قال: دعه عنك فوالله لو وزنته بإمته لوزنها. قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ε يقول لأصحابه "أنا أعربكم أنا قرشي واسترضعت في بني سعد بن بكر" وقال ابن اسحق: وكان رسول الله ε يقول : فما من نبي إلا وقد رعي الغنم، قيل : وأنت يا رسول الله، قال وأنا (40).

نستنتج من النص السابق:

إن رسول الله ε كان دعوة النبي إبراهيم υ وكان يري فيه الرسول ε أنه أبوه تصديقاً لقوله تعالي في سورة البقرة {ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم} (41).

- يرى رسول الله ε في عيسى الذي أتى بدين النصارى أنه "أخ" له وأنه بشّر بمحمد رسولاً ونبياً في كتابه السماوي الإنجيل.

- إن ولادة الرسول ε كانت إيذاناً بأن رسالة السماء من الله سبحانه وتعالى ستكون نوراً يضئ الدنيا كما وإن قصور الشام، تدل علي رؤية الرسول ε لما حوله من بلاد وحضارات ما قبل الإسلام.

- إن رسول الله ε عندما استرضع كان في بني سعد بن بكر وهذا يؤكد صفاء البيئة الفيزيقية، بيئة الصحراء التي نشأ فيها ε.

- أما قصة شق الصدر وما تم فيها تدل علي أن الله سبحانه وتعالي قد نـــــــــــــــــــــــــــــــزع مــــــــــــــــــــــــــــــــن الرسولε ما كان يحول بينه وبين وصول رسالة الله إليه وتطهير قلبه وبطنه من كل الشرور والآثام.

- إن حوار الرجلين (الملكين) يدلان في وزن رسول الله ε أنه يزن أمته كلها. ولما لا وهو هادي الأمة إلى معرفة الله الواحد الأحد وإلى شريعته الغراء.

- الاعتزاز من الرسول ε علي عروبته وأنه أكثر من الصحابة رضوان الله عليهم "عروبة" وفخره بنسبه الشريف إلى قريش "أنا قريشي" رغم كل ما فعلته به لأنها كانت تتمتع بمكانة كبيرة بين العرب في الجاهلية وأن المرحلة الأولى في حياة الرسول هي رضاعته ε وكانت في بني سعد بن بكر حيث الصفاء والنقاء وجو الصحراء بعيداً عن مفاتن المدن وإغراءاتها.

- ويعتز الرسول ε بان الرعي هو حرفة الأنبياء جميعاً وأنه مارس هذه الحرفة كالأنبياء جميعاً.

أما بالنسبة لأدب الرسول فقد أدبه الله منذ طفولته:

تتناول السيرة فيما تتناوله أدب وأخلاق محمد ε الذي نشأ يتيماً في قبيلته وكان رسول الله ε يُحدث عما كان الله يحفظه به في صغره وأمر الجاهلية أنه قال: لقد رأيتني في غلمان من قريش ننقل حجارة مع بعض الغلمان كلنا قد تعري وأخذ أزاره فجعله علي رقبته يحمل عليه الحجارة فإني لأقبل معهم كذلك وأدبر إذ لكمني لاكم ما أراه، لكمة وجيعة ثم قال: شد عليك أزارك قال: فأخذته وشددته علىّ ثم جعلت أحمل الحجارة علي رقبتي وأزاري" (42).

من نص السيرة السابقة يتضح:

- أن الرسالة تبدأ من تعليم الله للرسول ε الأدب والأخلاق في صغره.

- إن رعاية الله لرسوله شملته في صغره حتى يكون الشخص الذي يعد لأشرف رسالة سماوية.

- إن هذه الحادثة جاءت في حديث صحيح في أثناء بناء قريش للكعبة وقد اشترك النبي ε معهم في البناء رغم صغر سنه وكان يحمل الحجارة معهم وأنه هو الذي يشارك دائماً في الأعمال العامة لجماعته الإنسانية وعدم رغبته منذ صغره للركون إلى الراحة أو أن يعامل معاملة متميزة له عن جميع أقرانه.

- وقد أشادت بعض كتب السيرة قوله ε "أنا ابن العواتك من سليم" (43) هكذا والعاتك في اللغة هو الكريم والخالص من الألوان وهذا دليل علي نقاء النبي ε.

ومما يدل علي رجاحة عقل رسول الله ε وحسن تصرفه وهو صغير مشورة أبي أمية بن المغيرة لفض النزاع بين القبائل علي وضع الحجر بعد بناء مكة.

"فقد زعم بعض أهل الرواية: أن أبا أمية بن المغيرة عن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان أكبرهم سناً قال يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه ففعلوا فكان أول داخل عليهم رسول الله ε فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا، هذا محمد فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال ε هلمّ إليّ ثوبا فأتي به فأخذ الركن (الحجر الأسود) فوضعه فيه بيده ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناصية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً، ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ثم بنى عليه وكانت قريش تسمى رسول الله ε قبل أن ينزل عليه الوحي: الأمين" (44).

وهذا يؤكد رجاحة عقل الرسول ε قبل بعثته للناس فضلاً عن أن أفضل صفة أخلاقية وهي "الأمانة" التي نفتقدها جميعاً في هذا القرن الحالي. لقد شب محمد بن عبد الله في رعاية الله محفوظاً من أقذار الجاهلية متمسكاً بكل صفات الفضيلة حتى كان أفضل قومه وأحسن خلقاً واعظم حلماً وأصدق حديثاً.. كل هذه الصفات الأخلاقية قد جُمعت في كلمة الأمين وكان لا ينعت باسمه إنما "الأمين" جاء، وذهب الأمين.

لقد حضر ميادين الرجولة وهو صغير لم يبلغ الخامسة عشرة من عمره فاشترك في حرب الفجار وكان ينبل "علي أعمامه، أى يمدهم بالنبال أثناء الحرب، كما كان الرسول ε أحد الذين شهدوا إبرام حلف الفضول حيث تعاقد المجتمعون علي أن لا يروا بمكة مظلوماً من أهلها أو من غيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه وكانوا علي من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته كما كان بعيداً عن الأصنام شديد الكره لها(45).

وتؤكد سورة الضحى ذلك {ألم يجدك يتيماً فأوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغني}.

ومما لا شك فيه فقد تلعب الأخلاق الإسلامية دوراً هاماً رغم تعاقب الأزمان ومصدرها الدين الإسلامي الذي يهدي إلى الأخلاق الفضلى والمثل العليا ولا يهدي سواه لمثل هذه الأخلاق أو المثل، ونجد في القرآن الكريم ما يدل علي إن الله هو الذي يعلم السر وما اخفي وهو العليم بمصالح عباده جميعاً { ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير } (46) وإن الله سبحانه وتعالي هو المعقب ولا معقب لحكمه وهو الذي يحكم { يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب} (47).

وقد قام القرآن الكريم على التقوى وهي تعني دلائل دينية تشتمل علي طاعة الله سبحانه وتعالى والرغبة في الحصول علي ثوابه والخشية والخوف من عقابه. ومن ثم فإن التقوى هي الأساس المتين وهي لا تخضع للأهواء أو إلى المقاييس التي تتحول وتتغير دائماً.

إن التقوى في الإسلام هي أساس كل الفضائل التي تدور في فلكها إن المسلم الذي يتحلى بالتقوى يحيا دائماً في طهارة نفس وصلاح عمل وبراءة تدبير وثراء من الخير والحق وينفر من كل شر ويتحاشى كل رذيلة ونقيصة.

وإن المسلم المتحلي بالتقوى يعلم أن الإسلام ينبوع الأخلاق وأن التقوى محورها؛ هذا المسلم بالضرورة يكون كريماً وشجاعاً وعادلاً وأميناً، وعفيفاً، وصادقاً، ووفياً، ورحياً، وغيوراً متحلياً بكل فضيلة مبرئاً من الجبن والبخل والفجور والغدر والكذب ومن كل الرذائل.

وقد تردد مصطلح "التقوى" في القرآن الكريم بالمعاني السامية تسعاً وثلاثين ومائتي مرة منها أمر صريح بالتقوى ثلاثاً وثمانين ومنها كلمة تقوى تسع عشرة وكلمة تقي ثلاث مرات وكلمة الأتقي مرتين(48).

قال تعالي {فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى} (49) وهذا يعني إن الله سبحانه وتعالى يعلم الذي ذكي نفسه واتقي منا.

وقد جاء في سورة البقرة {وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقي} (50) وهذا أمر لنا أن نأتي دائماً البيوت من أبوابها ولا نتبع ما كان يتبعه الأنصار عندما كانوا يحرمون، ولا يدخلون بيوتهم من أبوابها تحرجاً وإنما يدخلون ويخرجون من فتحات خلف المنازل.

وقد أوصانا الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ألا نترك العدل لأن العدل مرتبط ارتباط وثيق بالتقوى { يا آيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى} (51).

وقد أوضح سبحانه وتعالى آيات كثيرات في نتائج التقوى منها {للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار} (52) وقوله تعالي {ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض} (53) وقوله جل وعلا {وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً} (54) وقوله تعالى {أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم علي رجل منكم لينذركم ولتتقوا} (55).

وقوله تعالي: {ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب} (56) وفي سورة البقرة {واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين} (57) وفي قوله تعالي { إن أكرمكم عند الله اتقاكم} (58) وقوله سبحانه : { وتعاونوا علي البر والتقوى ولا تعاونوا علي الإثم والعدوان}وغيرها (59).

وقد ارتبطت بصفة التقوى كثيراً من الصفات التي تدل علي الفضائل مثل في قوله تعالى: { فأما من أعطي واتقي وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى}.

ونجد إن العطاء والكرم ارتبطا بالتقوى كما نجد أن صفة الشجاعة متصلة بالتقوى أيضاً في قوله سبحانه { يا آيها الذين أمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين } (61).

أما عن خصائص الأخلاق الإسلامية فيشير الدكتور الحوفي أنها: الخير المطلق، والصلاحية العامة، واليسر الثابت، الألزام المستجاب، الرقابة المحيطة ثم يختتم بقوله القيم بتحديد غاية الأخلاق الإسلامية (62).

ويضيف الإمام السيوطي إلى الأخلاق الإسلامية السامية التوبة، والصبر والشكر، والرضي، والتفويض، والذكر والمراقبة، والخوف، وإلانة القول (63).

وقال النبي ε فيما أدب به أمته وحضها عليه من مكارم الأخلاق وحسن المعاشرة وإصلاح ذات البين وصلة الأرحام: أوصاني ربي بسبع أوصيكم بها: أوصاني بالإخلاص في السر والعلانية والعدل في الرضا

والغضب والقصد في الغني والفقر وإن أعفو عمن ظلمني وأعطي من حرمني وأصل من قطعني وإن يكون صمتي فكراً ونطقي ذكراً ونظري عبراً.

وقال ε نهيتكم عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال، وقال اليد العليا خير من اليد السفلي، المرء كثير بأخيه، استعينوا علي حوائجكم بالكتمان وأفضل الأصحاب من إذا ذكرت أعانك وإذا نسيت ذكرك. وغيرها من الأخلاق الكريمة التي تناولتها كتب السيرة النبوية (64).

أما عن أخلاق رسول الله ε يقول ابن كثير: كان أشجع الناس وأشجع ما يكون عند شدة الحروب، وكان أكرم الناس وأكرم ما يكون في رمضان وكان أعلم الخلق بالله وافصح الخلق نطقاً وأنصح الخلق للخلق وأحلم الناس وكان ε أشد الناس تواضعاً في وقار.

وفي السيرة انه ε لما دخل مكة يوم الفتح جعل يطأطأ رأسه من التواضع ، حتى أن تقدم رحله ليصيب عتنوته (شعر اللحية) وهكذا وصفه الله عز وجل وأصحابه قال تعالي { محمد رسول الله والذين معه أشداء علي الكفار رحماء بينهم } (65) وقد جمع الله له السيرة الفاضلة ، والسياسة الحكيمة ، ورباه الله تعالي محفوفاً باللطف يتيماً لا أب ولا أم فعلمه الله جميع محاسن الأخلاق والصفات الحميدة وأوحي إليه –جل وعلا- أخبار الأولين وما فيه النجاة والفوز في الآخرة والحيطة والخلاص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول من كل شئ (66).

إذا كان الدين الإسلامي هو الرسالة الخاتمة لكل الرسالات السماوية فقد أوحي هذا الدين بضرورة أن نمجد الأخلاق في الإسلام وان المنهج الإسلامي هو منهج قيمي أخلاقي له صفات الصلاحية والثبات لكل إنسان وفي كل العصور.

(4)

في هذا الجزء نتناول ذات النبى ε ومعالم الرحمة في علاقاته بمجتمعه، وقد مر الرسول بمواقف كثيرة لا يمكن أن تحصى كلها في هذا البحث وإنما نشير إلى بعض المواقف التى تدل على رحمته بمجتمعه والنموذج لأول عند زيارته للطائف بعد موت خديجة رضى الله عنها وموت عمه أبي طالب اشتد البلاء على رسول الله ε من سفهاء قومه وأقدموا عليه، وكانت الطائف أقرب بلد مجاور لمكة وخرج رسول الله ε متجهاً ماشيا على قدميه على أمل أن يجد في أهلها ما فقده من أهله وأن ينصروه على قومه ويمنعوه منهم ودعاهم إلى الله عز وجل فلم يجيبوه إلى طلبه؛ وكان أشراف

ثقيف يومئذ ثلاثة أخوة هم عبدباليل ومسعود وحبيب وهم أبناء عمرو بن عمير بن عوف.

فقام رسول الله ε من عندهم وقد يئس من خير ثقيف. وقال لهم إذا فعلتم ما فعلتم فأكتموه عني وكره رسول الله ε أن يبلغ خبره ذلك إلى قومه ولكن القوم لم يكونوا أهلاً للخير في الثانية وهى كتمان الخبر كما لم يكونوا أهلاً له في الأولى في تلبية الدعوة فأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وقد رجع عنه سفهاء ثقيف بعد أن رموه بالحجارة التى أدمت عقبيه حتى اختضبت نعلاه بالدماء. وجلس رسول الله ε في ظل شجرة وقد أخذ التعب منه مأخذه ليتجه إلى خالق السموات والأرض رافعاً إليه شكواه طالباً منه رضاه "اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الرحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري أن لم يكن بك على غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هى أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل علىّ سخطك لك العقبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك.

وجاء جبريل عليه السلام فنادى الرسول ε فقال أن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم وناداه ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بما شئت؛ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ قال ε (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً). (67)

وتحليلاً لزيارة الرسول ε للطائف وفقاً للمنهج المستخدم نجد أن عام الحزن بالنسبة لرسول الله ε هو موت أبي طالب في العام العاشر من نبوته ε والذي بدأ رعايته للرسول ε وعمره كان سنوات واستمرت حتى انتهت حياة أبي طالب الذي عضده ومنعه وناصره على قومه كما وأن موت خديجة الزوجة التى آمنت به وعضدته ونصرته بمالها وحسبها ونسبها وكانت له وزيرة صدق للإسلام يشكو إليها كل همومه ومتاعبه.

وما لاقاه من مشركي الطائف من عنت ومشقه وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم ورموه بالحجارة التى أدمت عقيبة حتى سال الدم من قدميه ورغم ما أحل بالرسول ε من تعب، اتجه إلى خالقه الكريم رافعاً إليه شكواه وطالباً منه رضاه وقد أوضحت الشكوى إلى الله ما وصل إليه الرسول ε من ضعف وقلة حيلة وهوان على الناس وأنه ε راض بكل ما حل به إلا أن يغضب عليه

مالك الملك أو يحل عليه سخطه قائلاً : (لك العقبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك).

وعندما جاء جبريل عليه السلام ومعه ملك الجبال ليخبراه بأن الله سبحانه وتعالى قد سمع قول قومك لك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، أن شئت أطبق عليهم الأخشبين وقال الرءوف الرحيم ε (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً) رافضاً الدعاء على قومه كما فعل بعض الرسول من قبل ورحمة من نبى الرحمة بقومه وما أعظمها من رحمة.

أما النموذج الثاني. تناولت كتب السيرة ما تم بين النبى ε وبين الأوس والخزرج في العقبة الأولى والثانية وبتحليل ما تم في ضوء المنهج المستخدم نستنتج أن خروج رسول الله ε في الموسم الذي يلقى فيه العرب كل عام وقد التقى بوفد من الخزرج وسألهم أمن موالي اليهود؟ أجابوا بالإيجاب وهذا يؤكد علم الرسول ε بما يحدث في المدينة قبل أن يهاجر إليها.

واعتراف اليهود أن نبياً مبعوث الآن وأن الخزرج والأوس سيتبعونه وأنهم يعدون العدة لقتلهم مع الرسول ε قتل عاد وإرم واستئصالهم ويوضح ذلك رؤية اليهود للآخر محمد ε وخوفهم من الآخر على أنفسهم ودينهم، وقد كان لهذه الرؤية سبباً في إجابة الخزرج للرسول ε وتصديقهم له وما عرض من الإسلام وإشارة الخروج ورؤيتهم للأوس في وجود العداوة والشر وسفك الدماء وبالرغم من ذلك كله فإنهم حريصون على الدين الجديد الذي بعث به الله محمداً ε وأنهم سيبذلون النصيحة والرأى وأنهم يرجعون إلى قومهم في أمره.

وتؤكد كتب السيرة أنهم عندما قدموا إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ε ودعوهم إلى الإسلام حتى نشأ فيهم فلم تبقى دار في الأنصار إلا وفيها ذكر رسول اللهε وهذا يبرهن على صدق الأنصار فيما وعدوا به الرسول ورؤيتهم فيه بأنه نبى هذا الدين الذي بشر به وأيده أسفار اليهود فضلاً عن وجود الرسول بعد ذلك في المدينة بين الأوس والخزرج فقد انتهت العداوة والشر وسفك الدماء بينهما باعتناقهم الدين الجديد وبما سمعوه عن النبى ε.

والنموذج الثالث. وهو من هجرة الرسول من مكة الى المدينة وموقفه من "سراقة" الذي أراد أن يقتل النبى وصاحبه من أجل الحصول على الجائزة الكبرى من قريش وهى مائة ناقة.

وقد روى محمد بن اسحاق بسنده عن عمه سراقة قصة خروجه بفرسه ومعه رمحه حتى دنا منهم "فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت فأهويت يدي الى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام ، فاستقسمت بها أضرهم أم لا؟ فخرج الذي أكره فركبت فرسي وعصيت الأزلام فساخت يد فرسي في الأرض حتى وقعت فنهرتها وزجرتها فنهضت. فناديتهم بالأمان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت مالقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ε فقلت له: قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني ولم يسألاني إلا أن قالا. أخفى عنا فسألته أن يكتب لى كتاب أمن فأمر عامر بن فهيره فكتب لى رقعة من أدم ثم مضى رسول الله. ولما وصل رسول الله الى المدينة جعل سراقة يقص على الناس ما رأى وما شاهد من أمر النبى ε.

وما كان من قصة جواده واشتهر هذا عنه فخاف رؤساء قريش معرته وخشوا أن يكون ذلك سبباً لإسلام كثير منهم وكان سراقة أمير بنى مدلج ورئيسهم.

وفي التحليل المنهجي في ضوء منهج رؤى العالم نجد أن سراقة يحاول الحصول على الدية وهى بالنسبة له في زمن الهجرة تعد كبيرة بكل المقاييس "مائة ناقة لكل من محمد ε وصاحبه" جائزة كبرى ولكن لم يستطع الحصول عليها ولكنه أدرك أن الرسول ε سيكون له شأن عظيم فطلب أن يكتب له كتاب أمان وفي بعض كتب السيرة أن الرسولε قد بشر سراقة بسوارىّ كسرى ولما رجع سراقة بعد أن نفذ وعده بوصول الرسول ε إلى المدينة حتى سار يقص على الناس ما رأى وما شاهد من أمر النبى ε وما كان من قصة جواده وموقف الرسول منه عندما أعطاه الأمان رغم أنه جاء لقتله وصاحبه فاشتهر عنه فخاف رؤساء قريش معرته وخشوا أن يكون ذلك سبباً لإسلام الكثيرين. وإذا كنا نرى في رؤية الرسول ε للآخر (سراقة) رغم أنه جاء للضرر به وبصاحبه إلا أنه كان في حالة ضعف وانكسار لسقوط فرسه وبالرغم من ذلك فإن نبى الرحمة محمد ε قد أعطاه عهد الأمان وعندما رأى سراقة الرسول نجده يعترف للرسول بقدرته التى لا يستطيع أن يدانيها أحد. ووفائه لما وعد به الرسول من منع كل من يسعى في طلبه ثم نشره قصته مع الرسول بعدما اطمأن إلى وصول الرسول ε إلى المدينة وتأشير روايته لهذه القصة في الكثيرين مما دخلوا في الإسلام واتباع نبى الرحمة ε.

(5)

نشير إلى بعض نماذج السيرة التى توضح رؤية نبى الرحمة ε وموقفه من التعامل مع غير المسلمين من أهل الكتاب والمشركين ونظرة الآخرين له مع عرض بعض النماذج.

النموذج الأول وهو الهجرة إلى الحبشة وكان من أسبابها عدم قدرة النبى ε على حماية أتباعه وهو فى حماية الله وحماية أبو طالب وكان يطلب منهم الصبر حتى ازداد المشركين ظلما لأتباعه فطلب منهم الهجرة حيث ذكر محمد بن إسحاق : "فلما رأى رسول الله ε ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانة الله عز وجل ومن عمه أبى طالب وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يُظلم عنده أحد وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ε إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم فكانت أول هجرة فى الإسلام وكان كما قال ابن اسحق: جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً أو ولدوا بها ثلاثة وثمانين رجلا".

ولما رأت قريش أن المسلمين قد أصابوا داراً وأمناً غاروا منهم فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة بالهدايا للنجاشى ولبطارقته لكى يردهم عليهم فأبى النجاشى إلا أن يتحدث معهم وفى حوار جعفر بن أبى طالب مع النجاشى وشرح له حالتهم قبل أن يبعث الله محمد ε وكيف دعاهم الدين الجديد إلى ترك عبادة الأصنام وإلى مكارم الأخلاق وقرأ عليه جعفر (كهيعص) فبكى النجاشي وقال للمهاجرين انطلقوا راشدين ثم كانت حيلة عمرو بن العاص للوقيعة بهم عندما أشار إلى أن إلهه الذى يعبد: عيسى بن مريم عبداً. ولما سأل النجاشى جعفر قال أنه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول فرد النجاشى هدايا قريش وخرج عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة مقبوحين.

الصلاة على النجاشى

وقد ثبت فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ε نعى النجاشى فى اليوم الذى مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم وكبر أربع تكبيرات.

وقال البخارى: "موت النجاشى" حدثنا أبو الربيع، حدثنا أبن عيينه عن ابن جريج، عن عطاء، عن جابر قال: قال رسول الله ε حين مات النجاشى: مات اليوم رجل صالح، فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة".

وقال بعض العلماء: إنما صلى عليه لأنه كان يكتم إيمانه من قومه فلم يكن عنده يوم مات من يصلى عليه فلهذا صلى عليه. (68)

تحليل نص السيرة فى ضوء المنهج التحليلي ومنهج رؤى العالم:

- زاد المشركون فى أذى المستضعفين المؤمنين والنبى ε يدعوهم للصبر وهو يعتصر حزناً على عدم قدرته على حماية أتباعه وهو يتمتع بحماية الله وحماية عمه أبو طالب.

- أذن للأتباع بالهجرة إلى الحبشة وحثهم عليها.

- علم رسول الله ε أنه يوجد فى بلاد الحبشة ملك عادل لا يُظلم عنده أحد.

- كما وأن أرض الحبشة أرض صدق لوجود دين الله فيه (النصرانية) وليس فيها عبادة الأوثان.

- إن عدد الرجال الذين هاجروا إلى الحبشة ثلاثة وثمانون رجلاً بالإضافة إلى الأبناء الذين خرجوا صغاراً أو ولدوا بها.

- محاولة قريش رد المهاجرين واختاروا لذلك رجلين يتمتعان بصداقة الأحباش وبالقدرة على الإقناع هما عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة واستخدما أسلوب الهدايا للنجاشى وبطانته والذى كان يحب صنفا من الجلد المصبوغ يقال له (الأدم) كما اهدوا إليه فرسا وجب ديباج.

- وصف عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة للمسلمين المهاجرين "بالسفهاء الذين فارقوا أقوامهم فى دينهم ولم يدخلوا فى الدين اليهودى أو الدين المسيحى وذكرا أنهم قد جاءوا بدين مبتدع لا نعرفه ولقد لجأوا إلى بلاد النجاشى.

- رفض الملك أن يرد المسلمين اللاجئين إليه وقال قوم لجأوا إلى بلادى واختاروا جوارى على جوار غيرى فإن كانوا كما يقولون رددتهم عليكم وإن كانوا على غير ذلك منعتهم ولم أدخل بينهم ولم أنعم عيناً حتى يكون أحراراً في أرضي.

- اختيار المهاجرين لجعفر بن أبى طالب لكى يكون المتحدث باسمهم.

- إصرار جعفر على قول الصدق (قول ما نحن عليه) من أمر الدين الجديد وما جاء به الرسول ε مهما حدث "كائن من ذلك ما كان".

- وشرح جعفر حالتهم قبل الإسلام وكانوا يعبدون الأوثان؛ ويأكلون الميتة ونستحل المحارم وغيرها من الموبقات فبعث الله نبيا من أنفاسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته فدعانا إلى عبادة الله وحده وإلا نشرك به شيئاً، وأن نصل الأرحام ونحمي الجوار ونصلى لله عز وجل ونصوم له ولا نعبد غيره.

- عدد جعفر أمور الإسلام للملك وعذاب قومهم لهم ليفتنوهم فى الدين ويردوهم إلى عبادة الأوثان وقد خرجنا إليك ورغبنا فى جوارك ورجونا ألا نُظلم عندك.

- قرأ على النجاشى " كهيعص" فبكى وبكت أساقفته.

- اعتراف النجاشى بأن القرآن ليخرج من المشكاة التى جاء بها موسى وطلب منهم أن ينطلقوا راشدين "والله لا أردهم عليكم".

- إصرار عمرو بن العاص على إخراج المسلمين من الحبشة بدعوة إن الإسلام يقول فى عيسى قولا عظيماً.

- مثول جعفر أمام الملك وسؤاله عن القول فى عيسى فقال هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

- اعتراف النجاشى بقولهم. وغضب بطارقته ولكنه قال للمسلمين "أنهم الأمنون فى الأرض" ومن سبهم غرم ورد هدايا قريش وطلب بإخراج رسولى قريش من البلاد.

- اجتمعت الحبشة على النجاشى وقالوا أنه فارق دينهم وخرجوا عليه واستطاع النجاشى بحيلة منه أن يرد القوم فهو يشهد أن عيسى عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم وكتم إيمانه وقال للقوم إن عيسى ابن مريم.

- نستنبط من النص الخاص بهذه السيرة رؤية الرسول ε لدينه ورؤيته للعالم المحيط به المتمثل في معرفة أن النجاشي ملك عادل وإن المسيحية دين مُنزل من عند الله. ولما مات النجاشي صلى الرسول ε عليه وقال مات رجل صالح فقوموا على أخيكم أصحمة.

- بُعد نظر الرسول ε في أن المهاجرين من المسلمين إلى الحبشة سيجدون الأمان على دينهم.

- إكرام الرسول ε فيما بعد لابن الملك وقيامه بخدمته على الرغم طلب الصحابة القيام بذلك لكنه رفض ذاكرا أن أباه قد أكرم وفادة المهاجرين إليه.

أما النموذج الثاني بالنسبة للدين المسيحى ورؤية الرسول له ظهرت عندما (دخل على النبى ε) وفد نصارى نجران الذين اسلموا ومحاولة أبى جهل ردهم عن الإسلام وإخفاقه.

وقال البهيقى: بسنده، عن ابن إسحق قال: ثم قدم على رسول الله ε عشرون رجلا وهو بمكة، أو قريب من ذلك، من النصارى حين ظهر خبره فى أرض الحبشة، فوجدوه فى المجلس، فكلموه وسألوه، ورجال قريش فى أنديتهم حول الكعبة.

فلما فرغوا من مساءلتهم لرسول الله ε عما أرادوا دعاهم رسول الله ε إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره.

فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل فى نفر من قريش فقال: خيَّبكم الله من ركب! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم فتأتونهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم، ما نعلم ركبا أحمق منكم ! أو كما قال.

قالوا لهم: لا نجاهلكم، سلام عليكم، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا نألون أنفسنا خيراً. فيقال : إن النفر من النصارى نجران، والله أعلم – إن فيهم نزلت هذه الآيات: (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا أمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين) (69).

من التحليل المنهجى نجد :

- معرفة نصارى نجران بأن هناك نبياً بشر به كتابهم فضلا عما سمعوا عنه من الحبشة.

- عندما حضروا إلى مكة وجدوا الرسول ε فى المسجد بينما رجال من قريش فى أنديتهم حول الكعبة وهنا نجد مقارنة لاشعورية لوفد نصارى نجران بين الرسول ε فى المسجد ورجال من قريش فى أنديتهم للهو.

- سماع وفد النصارى للقرآن من الرسول ε وتأثرهم به ونتيجة لذلك استجابتهم لله وإيمانهم بالرسول كما أنهم صدقوه.

- سب أبو جهل الوفد ومحاولته ردهم عن الإسلام.

- موقف وفد النصارى من أبى جهل وتجاهلهم له والرد عليه "لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه".

- رؤية وفد نجران للآخر وهو الرسول ε بأنه النبى الحق الذى وصف لهم فى كتابهم فضلاً على أنهم لم يقصروا أنفسهم عبء بلوغ الخير الذى جاءهم باعتناقهم الإسلام.

- رؤية الرسول ε فى النصارى إنهم أهل كتاب وإنهم أقرب مودة له من المشركين.

ورؤية الآخر للرسول عليه الصلاة والسلام لها عدة نماذج في كتب السيرة نشير إلى بعض منها؛ فالنموذج الأول عندما اعتدى على الرسول غلمان وعبيد ثقيف بعد أن دعاهم الرسول إلى الله عز وجل فلم يجيبوه إلى طلبه. فلما رأى إبنا عتبه وشيبه مالقى تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانياً يقال له عدّاس فقالا له: خذ قطفاً من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده فقال باسم الله ثم أكل فنظر عدّاس في وجهه ثم قال والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد فقال له رسول الله ε ومن أهل أى البلاد أنت يا عدّاس؟ وما دينك، قال نصراني وأنا رجل من أهل نينوى فقال رسول الله ε من قرية الرجل الصالح يونس بن متى، فقال له عدّاس، وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله ε وذلك أخي كان نبياً وأنا نبى فأكب على رسول الله ε يقبل رأسه ويديه وقدميه.

ويقول إبنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهما عدّاس قالا له مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه، قال يا سيدي ما في الأرض شئ خير من هذا لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبى قالا له: ويحك يا عدّاس لا يصرفنك عن دينك فإن دينك خير من دينه.

وبالتحليل العلمي لموقف عدّاس من الرسول ε: نجد أنه لما تفحص عدّاس النصراني وجه الرسول ε وسمعه يذكر اسم الله قبل أن يأكل، وذكر للرسول أنه لم يسمع هذا الكلام يقوله أهل البلاد ولما أخبره الرسول ε بأنه من نينوى قرية يونس بن متى عليه السلام وأنه أخوه فأنكب عدّاس على رسول الله ε يقبل رأسه ويديه وقدميه ولما واجه سيده وسأله لماذا تقبل رأس هذا الرجل قال يا سيدي ما في الأرض شئ خير من هذا الرسول لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبى وهذا اعتراف صريح بنبوة الرسول ε ورؤية بعض النصارى فيه بأنه رسول من الله بما علم من أمره من دينهم.

أما النموذج الثاني لرؤية الآخر لرسول الله فقد كان يعرض الرسول نفسه على القبائل وعندما جاء الرسول ليعرض نفسه على الأوس والخزرج فبايعوا النبى ε. ولما جاء بمنى كما ذكر الواقدي ودعا الناس فما استجابوا له وكان معهم ميسرة بن مسروق العبسي فقال أحلف بالله لو قد صدقنا هذا الرجل وحملناه حتى نحل به وسط بلادنا لكان الرأى فأحلف بالله ليظهرن أمره حتى يبلغ كل مبلغ. فقال القوم دعنا منك لا تعرضنا لما قبل لنا به وكلم رسول الله ε ميسرْه فقال ميسرة: ما أحسن كلامك وأنوره ولكن قومي يخالفوني وإنما الرجل بقومه فإذا لم يعضدوه فالعدى أبعد. ولما رجع القوم وهم بالطريق فقال لهم ميسرة ميلوا نأت فإن بها يهوداً نسألهم عن هذا الرجل فمالوا إلى يهود فأخرجوا سفراً لهم فوضعوه ثم درسوا ذكر رسول الله ε النبى الأمى العربي يركب الحمار ويجتزئ بالكسرة ليس بالطويل ولا بالقصير ولا بالجعد ولا بالبسيط، في عينه حمرة مشرق الوجه فإن كان هو الذي دعاكم فأجيبوه وادخلوا في دينه فإنا نحسده ولا نتبعه وإنا منه في موطن بلاء عظيم ولا يتبقى أحد من العرب إلا اتبعه وإلا قاتله فكونوا ممن يتبعه.

وبالتحليل المنهجي (رؤى العالم) نجد اعتزاز العرب في جاهليتهم بالجماعة وأن الرجل بقومه فإذا لم يعضدوه في قرار اتخذه فالبعد عنه أفضل كما فعل ميسرة مع رسول الله ε ولما سأل اليهود عنه وأخرجوا سفراً من كتابهم وفيه وصف الرسول ε الأمي العربي والذي جعله الله وسطاً في كل شئ وطلب منهم أن يجيبوا دعوته وأنه سيتبعه كل العرب وأنه سيكون بينه وبين اليهود بلاء عظيم لأنهم لن يتبعوه. وهذا اعتراف من يهودي من أهل الكتاب بصدق دعوته ورغم ما سيحدث بين الرسول واليهود فإنه لم يخف على القوم ما سألوا عنه وفي ذلك صدق الآخر للرسول عليه السلام.

أما النموذج الثالث لرؤية الآخر للنبى عليه الصلاة والسلام فقد جاءت من أم معبد المشركة وفي هجرة الرسول إلى يثرب هو وصاحبه وطلبا منها لحماً أو لبناً يشتريانه فأجابت بالنفى فوجد شاه عجفاء ولما طلب الرسول حلْب الشاه وأحضرت له وسمى باسم الله حلبها وطلب بإحضار إنائين فقدم إناء لأم معبد فشربت ثم شرب صاحبه وشرب هو بعد ثم ملأ الإناء وتركه لها ولما حضر زوجها وسألها عن مصدر اللبن فذكرت أنه مر بها رجل مبارك ووصفت النبى وصفاً دقيقاً يدل على رؤيتها له وبالتحليل المنهجي لرؤية أم معبد الخزاعية للرسول ε، نتبين صدق أم معبد مع الرسول في عدم وجود لبن أو لحم لكى يشتريها الرسول ε وإنما هناك شاه عجفاء، ولما طلب الرسول الشاه وأحضرت له إنائين ملأ الإناء الأول وقدمه لها أولاً لكى تشرب ليس باعتبارها صاحبة الحق في الشاه فقط ولكن لأنها سيدة عجوز احترمها الرسول ﷺ ثم ارتوى بعد ذلك أصحابه وكان هو آخر من يشرب بعد أن ارتوى الجميع بل أنه أكثر من ذلك فقد ملأ الإناء الآخر وتركه لأم معبد لترتوي كلما أصابها العطش بعد ذلك ولكى تروي زوجها عندما يحضر وهنا يتضح رؤية الرسول ε للذات بأنه القائد الذي لا يبدأ بنفسه في الحصول على أى شئ قبل الآخر وهم أصحابه أو قبل جميع أعضاء قيادته ويكون هو دائماً آخر من يطعم أو يشرب، ويظهر صدق أم معبد الخزاعية مع الرسولε ثم رؤيتها له رؤية الآخر للذات رؤية موضوعية فوصفت الرسول ε بما لاحظته حولها من علاقته بأصحابه وعلاقة أصحابه به "رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة حسن الخلق مليح الوجه، كثيف اللحية إذا أضحك فعليه الوقار وإذا تكلم سما وعلاه البهاء حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر له رفقاء يحفون به إن قال استمعوا لقوله وأن أمر تبادروا لأمره، محفود محشود، لا عابس ولا مغندر.

(6)

أهم نتائج الدراسة:

بتحليل كتب السيرة السابقة التى تعد من أفضل المصادر العلمية لأنها تتعلق بأفضل الأنبياء والرسل محمد ε ولأنها تحكي حياة النبى من مولده إلى وفاته والوقوف على مجتمعه ومواقفه مع الآخرين الذين يختلفون عنه ورحمته معهم ثم رؤيتهم بأنفسهم رحمة النبى معهم رغم اختلافهم معه في حياته.

واعتمد البحث على منهج رؤى العالم وهو يهتم بتصور الذات في السيرة النبوية فهى تشير إلى كل ما غاب عن الإنسان وكل ما هو في علم الله وكل ما يؤلف عالم الغيب الذي لا يخضع للحواس وشمل الروح الأمين جبريل عليه السلام والملائكة والعالم الآخر ورؤية الرسول ε لذاته وللأنبياء السابقين ولأهل الديانات السماوية من يهود ونصارى ورؤيته للمشركين الآخرون وأهمية استخدام هذا المنهج تتمثل في أنه يجعل "الذات" النبوية الشريفة محدداً أساسياً في عملية بناء الأمة الإسلامية الجديدة وتبني التصورات الأخرى المتعلقة بالمكان والزمان فضلاً عن رؤية الرسول ε لأصحابه وللملوك الذين عاشوا في عصره ورؤيته ε للدين الإسلامي الذي ينتشر ويعم ربوع الكرة الأرضية من أدناها إلى أقصاها ومن شرقها الى غربها.

كما تناول البحث مجموعة من المفهومات الأساسية كالقرآن والسنة وأهميتهما كمصدر للتشريع، فضلاً عن تناول السيرة وهى الترجمة المأثورة لحياة النبى محمد ε وذلك للتأسي بالرسول ε (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً).

كما تناول مفهوم الأخلاق وركز على أنه علم معياري يحدد معايير السلوك بين الناس والجماعات الاجتماعية المختلفة وتناول الدين الإسلامي بصفة خاصة القائم على الإلزام الذي أتضح في كتابه العزيز). (لقد كرمنا بنى آدم وفضلناه على كثير مما خلق تفضيلاً) وذلك لكى نبرز أخلاق نبى الرحمة ε الذي كان خلقه القرآن.

وذكر البحث في أهم النتائج صفات الرسول ε واعتزازه بعروبته وأنه كان دعوة إبراهيم عليه السلام وبشرى أخسه عيسى عليه السلام في الإنجيل وأن أخاه موسى عليه السلام قد ذكره في توارته وذكر ε "مثلي

ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وجمله إلا موضع لبنه فجعل الناس يطوفون به ويصيحون له ويقولون هل وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم البيين وأن الله سبحانه وتعالى أدبه "ادبني ربي فأحسن تأدبي" وحفظه في صغره من كل أمور الجاهلية وأمانته التى اعترفت بها قريش قبل دعوته للإسلام ولم تنكرها عليه بل أكثر من ذلك عندما كان النصر والفتح للرسول ε ولما سألهم ما تظنون أني فاعل بكم قالوا أخاً كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء.

وأوضح البحث أيضاً إلى ظلم قريش لأتباع الرسول ε في مكة وتألمه الشديد من أجل أصحابه وأتباعه وأنه طلب منهم الهجرة إلى الحبشة حيث يوجد النجاشي الملك العادل الذي استضافهم وأعطى المهاجرين الحرية الكافية في عبادة الله.

وتناول البحث العلاقة بين الرسول ε ورؤية لليهود والنصارى والمشركين وعرض لمجموعة من النماذج التى تم تحليلها في ضوء منهج رؤى العالم الذي أوضح أخلاق نبى الرحمة محمد ε ورؤيته للآخر (النصارى ، اليهود ، المشركين) ورؤيتهم له جميعاً التى توضح أنه نبى الرحمة تصديقاً لقوله تعالى "لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم". (التوبة : الآية 128).

أهم التوصيات:

(1) الاهتمام بعرض سيرة الرسول ε على المجتمعات الأجنبية باللغات التى يفهمها الغرب.

(2) إجادة اختيار الدعاة ε الذين يجمعون بين عمق الدعوة وحسن عرضها باللغات الأجنبية للآخر.

(3) عرض نماذج رؤيته ε باللغات الأجنبية للمسيحيين واليهود القائمة على أنهم أهل كتب سماوية وكان النبى يودهم ويحبهم ويبادلونه نفس المشاعر خصوصاً الرهبان وغيرهم.

(4) حب نبى الرحمة ε للبشرية جمعاء حتى لو اختلفت معه في الدين "لكم دينكم ولى دين" وقوله ε "كلكم لآدم وآدم من تراب أن أكرمكم عند الله أتقاكم".

(5) أن الجهاد كما شُرع في الإسلام قائم عندما يحدث الاعتداء على المسلمين وأنه قاصر ويخص فقط الجنود المعتدين وفي وصايا نبى الرحمة

ε يجب عدم الاعتداء على النساء والأطفال والشيوخ وعدم قطع الأشجار أو تدمير البيوت كما يحدث الآن من القوى الغربية التى تعتدي على الآخرين وخير مثال على ذلك ما تم في العراق أثناء الاحتلال الغربي لها.

المراجـع والهـوامش

1- Redfield Robert, 1952. The Primitive World View, American Philosophical Society Proceedings, 96 : 30 –36.

2- Tax, sol 1941 World View and Social Relations in Guatemala, American Anthropologist New Series 43 : 27 – 42.

3- Mendelson, M., E., "World View" in I.E.S.S. Vol. 17.

4- Geertz, Clifford 1957 Ethos, World View and the analysis of sacred symbols, Antioch. Review 17: 241 – 437.

5- بقصد بالمادة الأثنوجرافية تلك المادة العلمية التى يتم جمعها عند دراسة أى جماعة إنسانية أو ثقافة معينة دون النظر إلى تحليل هذه المادة وعندما يقوم الباحث بعملية التحليل تصبح هذه المادة دراسة أثنولوجية وهى تعني الدراسة المقارنة لثقافات الشعوب والتى تعد أحد ركائز علم الإنسان الثقافي "الأنثروبولوجيا الثقافية".

6- أحمد أبو زيد رؤى العالم، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية – القاهرة 1990 ص 4 – 5.

7- أحمد أبو زيد المرجع السابق – ص 85 – 90.

8- أحمد فراج حسن - أصول الفقه الإسلامي 2006 – بدون ناشر ص 35 – ص 53.

9- سورة آل عمران: الآية 137.

10-رواه مسلم وأحمد في مسنده والترمذي.

11-رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي عن ابن مسعود.

12-رواه البخاري وأحمد وابن ماجه.

13-رواه أحمد في مسنده.

14-سورة النحل: الآية 46.

15-رواه الحاكم: عن أبي هريرة.

16-سورة البقرة: الآية 42.

17-رواه أحمد والترمذي والنسائي عن أبن عمر.

18-دائرة المعارف الإسلامي، الشارقة، 1418هـ، 1998، ص 6014.

19-عبد الباسط محمد حسن – أصول البحث الاجتماعي الطبعة الثانية – مكتبة وهبه القاهرة 1982 ص 253 ص 255.

20- Victor, Juppa, The sage Dictionary of social Research Methods, sage publications, London, 2006 PP. 14 – 15.

21- سورة الأحزاب: الآية 21.

22- سورة المائدة: الآية 3.

23- لجنة السنة النبوية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية مختصر سيرة ابن هشام لأبي محمد عبد الملك ابن هشام حـ1 الطبعة الثانية – القاهرة 1455هـ، 2005م ص 5.

24- المرجع السابق ص 7.

25- الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي في سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد القاهرة 1418 هـ / 1997 والتقديم للأستاذ محمد ابو الفضل إبراهيم.

26- الإمام الحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير: الفصول في سيرة الرسول ضبطه وقد له مصطفى عبد الحى – دار الوطن للنشر – الرياض الطبعة الأولى 1424هـ / 2003 م ص 15.

27- السيد محمد بدوي - الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع – دار المعارف 1980 ص 8 – 9.

28-Hobbs, Nicholas, "Ethical Issues in the Social Sciences" in I.E.S.S vol 3 P.160.

29- ديفيد رزنيك أخلاقيات العلم ترجمة د. حمادة عبد النور عبد المنعم عالم المعرفة 327 يونيه 2005 الكويت ص 23.

30- السيد محمد بدوي مرجع سابق ص 193.

31- أحمد فراج حسن – أصول الفقه الإسلامي 2006 ص 35 – ص 53

32- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم العربي بدون تاريخ نشر ص 447

33- الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي مختار الصحاح – المركز العربي للثقافة والعلوم بيروت بدون تاريخ نشر ص 490.

34- ابن منظور لسان العرب دار صادر بيروت 2003 ص 65 – ص 67.

35- سورة يوسف الآية 41.

36- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – المعجم العربي مرجع سابق ص 75.

37- انظر قاموس Webester ص2059 وقاموس

Longman Dictionary of Contemporary English, Pearson Education 2003 P. 1487.

38-Webester Ibid P. 509.

39- أحمد أبو زيد رؤى العالم المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية – القاهرة 1990 ص 55.

40- مختصر سيرة ابن هشام حـ1 الطبعة الثامنة 1402هـ/2005 القاهرة صـ167.

41- سورة البقرة : الآية 129.

42- مختصر سيرة ابن هشام مرجع سابق ص122.

43- محمد بن يوسف الصالحي الشامي سبل الهدى والرشاد حـ1 القاهرة 1418هـ 1997م ص 384.

44- سيرة ابن هشام مرجع سابق ص 133.

45- سيرة ابن هشام مرجع سابق ص 186.

46- سورة الملك: الآية 14.

47- سورة الرعد: الآية 41.

48- انظر أحمد محمد الحوفي الأساس الإسلامي للأخلاق دراسة في الحضارة الإسلامية المجلد الثالث ص 145 – ص 163.

49- سورة النجم: الآية 32.

50- سورة البقرة: الآية 189.

51- سورة المائدة: الآية 8.

52- سورة آل عمران: الآية 15.

53- سورة الأعراف: الآية 96.

54- سورة الزمر: الآية 73.

55- سورة الأعراف الآية 96.

56- سورة الطلاق: الآية 2 ، 3

57- سورة البقرة: الآية 194.

58- سورة الحجرات: الآية 13.

59- سورة المائدة: الآية 2.

60- سورة الليل: الآيات من 5 – 7.

61- سورة التوبة: الآية 123.

62- انظر الدكتور الحوفي – مرجع سابق.

63- الإمام جلال الدين السيوطي تناسق الدرر في تناسب السور دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا ص 67.

64- فاطمة محجوب، الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية دار الغد العربي – القاهرة 1993 ص 209.

65- سورة الفتح: الآية 29.

66- الحافظ أبو الفداء إسماعيل ابن كثير الفصول في سيرة الرسول ε - مرجع سابق ص 129 – ص 130.

67- صفوة السيرة النبوية لابن كثير المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة 1422 هـ/ 2002م ص 10 – ص 17.

68- المرجع السابق – ص 24.

69- سورة القصص: الآية 52 حتى الآية 55.